كاد ودلالتها

بين النحويين والمفسرين

دكتور/ عمر محمد حمودة عطا المنان

الأستاذ المساعد . بقسم اللغة العربية

كلية التربية والآداب

جامعة تبوك . المملكة العربية السعودية

كاد ودلالتها
بين النحويين والمفسرين

الدكتور / عمر محمد حمودة عطا المنان
الأستاذ المساعد ـ بقسم اللغة العربية ـ كلية التربية والآداب
جامعة تبوك ـ المملكة العربية السعودية

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، سبحانه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه ورسوله الذي اصطفاه وأنزل عليه خير الكتب فكان خير الرسل، وحفظ كتاب من التحريف والتبديل إلى يوم الدين.

إن من أعظم نعم الله على الإنسان أن منحه العقل وأمره بالتفكر والتأمل في القرآن الكريم لكي يتفقه في الدين، ليلهمه الرشد فيما يقول وفيما يفعل، قال الرسول: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده).

وقد تعددت الطرائق، واختلفت السبل في الوصول إلى فهم الأحكام التي جاءت بها شريعة الإسلام، إلا أن جميع تلك طرائق فهم الأحكام الشرعية تعود في تفصيلها وبيانها إلى اللغة التي نزل بها كتاب الله، ووردت بها سنة رسوله، وهي لغة العرب التي أودع الله فيها من الأسرار البيانية ما جعلها تفي بكل ما يستجد من أمور في حياة المسلمين والناس جميعا.

اهتم المسلمون منذ فجر الإسلام بلغة القرآن الكريم، ليقفوا على مكنوناتها وخفاياها، وبذلوا جهدهم للعناية بها، وزاد هذا الاهتمام عندما شعروا بأن الخطر يهدد كيانها بعد دخول غير العرب في الإسلام، ففشا اللحن بين أبنائهم وباتت اللكنة اللسانية تنذر بضياع فصاحتهم وبلاغتهم. وبرز طوال القرون التي مرت أفذاذ من العلماء استغرقوا حياتهم كلها بالبحث والتدقيق في مسائل هذه اللغة، والخوض في فنونها

وآدابها، فكان كل واحد منهم يقدم خدمته لها من خلال ما يلقي الله في روعه من تلك الآداب والفنون، فأظهروا للناس لطائفها، وبينوا جمالها، ووضحوا رونقها و بهاءها.

ارتبط علم النحو بعلم التفسير ارتباطاً وثيقاً ويعتبر علم النحو من أهم الأدوات اعتمد عليها علم التفسير في فهم معاني آل الكتاب الكريم. وقد قامت علاقة وثيقة بين علم النحو علم التفسير منذ فجر التقعيد النحوي في لغتنا العربية ، عندما وضع العلماء الأوائل قوانين لضبط اللسان، والحفاظ على سلامة وصحة قراءة الكتاب العزيز ، بعدما فشا اللحن بين الناس بعد الاختلاط العرب والأمم المجاورة بعد الفتح الإسلامي وانتشار الاسلام في الأصقاع المختلفة في العالم.

ولا غرابة في أن علم النحو نشأ وترعرع في كنف القرآن الكريم، فكان الأداة المهمة في فهم النص القرآني، وكان الوسيلة الموضحة لمدلولات القرآن الكريم بعد أن اختلطت الألسن باختلاط العرب بالأمم المجاورة بعد الفتوحات الإسلامية كما مرّ سابقاً. وقبل الفتوحات الإسلامية كان العرب الأوائل في صدر الإسلام لا يحتاجون وقبل الفتوحات الإسلامية كان العرب الأوائل في صدر الإسلام لا يحتاجون إلى ذلك لأن القرآن نزل بلغتهم التي يتحدثون بها وجاء على أساليب بلاغتهم. فكانوا يفهمون القرآن ويعلمون معانيه ومفرداته وتراكيبه.

ومما يجدر ذكره أنَّ أهم مظاهر العلاقة بين علم النحو وعلم التفسير ظهور بعض النحويين اللغويين المختصين.الذين قدَّموا لنا تآليف خاصة بالقرآن الكريم ذات منهج خاص. ومن ذلك كتب علم المعاني التي اعتمدت لغة القرآن الكريم ميداناً لها، فأخذت في تبيان وجوه إعرابه والوقوف على مُشْكِله، وتجلية معانيه وتوضيحها. ويمثل كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) واحداً من هذه المؤلفات.وهناك مؤلفات أخرى يضيف المجال ههنا بذكرها.

ولا تخفى على مهتم بإعراب القرآن الكريم العلاقة الوثيقة بين المعاني والإعراب، لذا قال العلماء: الإعراب فرع المعنى. و لا يُتَصور أحدٌ أن يُقدم أحد على إعراب نص يجهل معناه؛ فإعراب النص تجلية لمعانيه وكشفٌ لأحكامه ومدلولاته.

جاء التعبير القرآني على أعلى درجات الفصاحة والبيان، ولا يستطيع أحد في هذا الكون من إنسه وجنِّه أن يأتي بمثله نظماً ومعنًى. لذا عدَّ النحاة والمفسرين القرآن الكريم المصدر الأول على اعتبار أن لغته هي اللغة المثلي.ونجد أن النحاة عندما وضعوا القواعد النحوية اعتمدوا أولاً القرآن الكريم باعتباره أقوى الشواهد. ثمَّ الحديث النبوي الشريف، ثم الشعر العربي، ثم أقوال العرب وحكمهم.

وعندما شرع المفسرون في تفسير القرآن الكريم وبيان المراد من آياته: اصطحبوا معهم الأحكام والقواعد النحوية للاستفادة منها في بيان المراد من الآيات وإيضاح مدلولاتها.

ومن الأبواب النحوية التي وجدت اهتماماً من المفسرين باب " كاد "، وسوف نتناول في هذا البحث كاد ومدلولاتها من خلال المواضيع التي وردت فيها القرآن الكريم

"كاد وأخواتها" تعمل عمل "كان"، فترفع المبتدأ، ويسمى اسمها، وتنصب الخبر، ويسمى خبرها. وتسمى أفعال المقاربة. (وليست كلها تفيد المقاربة، وقد سمي مجموعها بذلك تغليبا لنوع من أنواع هذا الباب على غيره. لشهرته وكثرة استعماله).

تصريف كاد لغة:

[ك و د]. كدت، أكاد، مصدر كود، مكاد، مكادة. " كاد الولد يغرق ": هم، قارب الغرق ولكنه لم يغرق.

كاد في الأصل تعني " قَرُبَ " إلا أن " قرب " تتعدى بحرف الجر " من " أما " كاد" فتتعدى من دون حرف الجر" والاختلاف في التعدية لا ينفي اتحادهما في المعنى. لأن التعدية من خواص اللفظ. وقد ذكر ذلك الرضي الاسترابازي في الكافية، قائلا ": (لا فرق بين عرفت وعلمت من حيث جهة المعنى، إلا أن عرفت لا ينصب جزئي الاسمية كما ينصبهما علم و لا بفرق معنوي بينهما، بل موكول إلى اختيار العـــرب، فإنهم قد يخصون أحد المتساويين في المعنى بحكم لفظي دون الآخر) [1].

يقول العلماء إن كاد في أصل الوضع تعني " قـــرب " ولا تستعمل على أصل الوضع فلا يقال: كاد زيد من الفعل.

عملها:

كاد من الأفعال الناسخة التي تدخل على الجملة الاسمية، فترفع المبتدأ اسما لها، ويكون خبره خبرا لها في موضع نصب وهي من أفعال المقاربة، أي أنها تفيد مقاربة في حصول الفعل ووقوعه أي قارب الحصول ولم يحصل، فقولنا :كاد الطفل يقع، أي أشرف على الوقوع، وقاربه، إلا أنه لم يقع .قال ابن يعيش" [٢]:فإذا قلت كاد زيد يفعل، فالمراد قرب وقوعه في الحال، إلا أنه لم يقع بعد؛ لأنك لا تقوله إلا لمن هو على حد الفعل، كالداخل فيه، لا زمان بينه وبين دخوله فيه. يقول الشاعر :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

ويوضح عباس حسن الأمر، ويقربه من الأذهان فيقول " [٣]:في جملة مثل: "الماء يغلي"، يفهم السامع " بسبب وجود الفعل المضارع " أن الماء في حالة غليان الآن، أو :أنه سيكون كذلك في المستقبل،أي الزمن الذي بعد الكلام، فإذا قلنا: " كاد الماء يغلي "، اختلف المعنى تماما ؛ إذ نفهم أمرين: أن الماء اقترب من الغليان اقترابا كبيرا، وأنه لم يغل بالفعل ؛ أي: أنه في حالة إن استمر زمنا قليلا فسيغلي. والسبب في اختلاف المعنى الثاني عن الأول هو وجود الفعل " كاد " في الجملة الثانية، مع أنه ماض.

اقتران خبر كاد بـ (أن):

كاد الغالب في خبرها التجريد من أن ، لأنها تدل على شدة مقاربة الفعل، فلم يناسب خبرها أن يقترن بأن وإنما يقترن قليلا نظرا إلى أصلها.

ومن مجيء خبرها مقترنا بأن قول المصطفى ﷺ [٤]: كاد الفقر أن يكون كفرا.وكاد الحسد أن يسبق القدر. وقول عمر بن الخطاب ﷺ [٥]: ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب.وقال أنس بن مالك [٦]: فما كدنا أن نصل إلى منازلنا. وقال جبير بن مطعم ﷺ. وجبير بن مطعم بن عدي بن عبد مناف بن قصي شيخ قريش في زمانه وقد أجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف.: كاد قلبي أن يطير.

وقول عبد الله بن عمر ﷺ [٧]: ثم رفع رأسه فلم يكد أن نسجد، فلم يكد أن يرفع رأسه.

ومن شواهد اقتران خبر كاد بأن قول الشاعر [٨]:

أبيتم قبول السلم منا فكدتم لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السل

وهذا ليس من الضرورة بل يمكن القول (لدي الحرب تغنون السيوف عن السل).

يقول العلماء في مقارنة بين " عسى " و "كاد ": أن الغالب في خبر عسى الاقتران بـ " أن " لأنها تدل على الترجي" وكان القياس وجوب اقتران خبرها حتى ذهب جمهور البصريين إلى أن تجريدها من " أ ن " خاص بالشعر واستشهدوا بقول هدبة بن الأشرم العذري [٩]:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ففي البيت " يكون " خبر عسى وهو مجرد من أن.أما كاد عكس عسى، أي الغالب في خبرها التجريد من أن. و أنها تدل على شدة مقاربة وقوع الفعل. لذا لم يناسب خبرها الاقتران بـ " أن " ولكن يقترن قليلا

يقول الحريري في درة الغواص [١٠]: ويضاهي لفظة " يوشك " لفظتا " عسى و كاد " في جواز إيراد " أن " بعدهما، وإلغائها معهما. إلا أن المنطوق في القرآن، والمنقول عن الفصحاء أولى بيان ؛ إيقاع " أن " بعد عسى وإلغاؤها بعد كاد. والعلة فيه أن كاد وضعت لمقاربة الفعل، ولهذا قالوا (كاد النعام يطير) لوجود جزء من الطيران فيه. و" أن " وضعت لتدل على تراخي الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل. فإذا وضعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب وقوع الفعل. وحصل ضرب من التناقض. وليس كذلك في عسى، لأنها وضعت للتوقع الذي يدل وضع " أن " على كل مثله..).

إن وقوع " أن " بعد: كاد يفيد تأكيد المعنى، ويزيده فضلا في تحقيق قوته. وفي التراث نطقت العرب بعدة أمثال في كاد، ألغيت فيها " أن " في جميعها، فقالوا[١١]:

١ / كاد العروس يكون ملكا

٢/ كاد المنتعل يكون راكبا.

٣/ كاد الحريص يكون عبدا.

٤/ كاد الفقر يكون كفرا

٥/ كاد البيان يكون سحرا.

٦/ كاد النعام طيرا.

٧ / كاد البخيل يكون كلبا.

٨ / كاد السيىء الخلق يكون سبعا.

اختلف النحاة في معنى "كاد" حال النفي والإثبات، على أقوال أربعة:

أولها:

أن نفي "كاد" يدل على نفي مقاربة الفعل، وهو يقتضي نفي وقوع الفعل بطريق فحوى الخطاب "أي بالأولى"، أما إثباتها فيدل على إثبات مقاربة الفعل، ويدل على انتفاء وقوعه، لأنك إذا قلت: كاد يقوم، فمعناه قارب القيام، ولا يقال ذلك عرفا إلا إذا قارب ولم يفعل. وهذا مذهب الزجاجي، ونظمه ابن مالك في الكافية بقوله [١٢]:

وبثبوت كاد ينفى الخبر وحين ينفى كاد ذاك أجدر.

ويشكل على هذا القول: قوله تعالى: (فذبحوها وما كادوا يفعلون)، فإن قوله: (فذبحوها) إثبات للذبح، وقوله: (وما كادوا يفعلون) نفي للفعل، الذي هو الذبح، وعدم تكراره تفنن في البيان وهو قول ابن عاشور، فيلزم التناقض بنفي الشيء وإثباته في آنٍ واحد.

وانفصل أصحاب هذا القول عن هذا الإشكال بقولهم: إن ذلك باعتبار وقتين، والمعنى: فذبحوها الآن، وما كادوا يفعلون قبل ذلك. ونظمه ابن مالك في الكافية بقوله :[١٣]

وغير ذا على كلامين يرد كولدت هند ولم تكد تلد.

ويرد على هذا الجواب إشكال ثان، وهو: أن جملة (وما كادوا يفعلون) في موضع الحال، والمعنى: (فذبحوها في حال تقرب من حال من لا يفعل)، وهذا يفيد أنهم ذبحوها مكرهين أو كالمكرهين لما أظهروا من المماطلة في الفعل. وعلى هذا يكون وقت الذبح متحدا بوقت مقاربة انتفائه، إشارة إلى أن المماطلة قارنت أول أزمنة الذبح.

والجواب عن الإيراد الثاني: أن تجعل الجملة استئنافية لا حالية .وعليه يصح اختلاف الوقتين، أي فذبحوها وكانوا قبل ذلك في حال من لم يقارب الفعل.

والثاني :

يوافق الأول في حالة الإثبات، أما في النفي فهوالعكس، فيكون إثبات "كاد" نفيا للخبر، ونفيها إثباتا له. وهذا مخالف لقياس الوضع اللغوي،لذلك اشتهر بين أهل الإعراب، وألغز به أبو العلاء المعري بقوله(١٤):

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة أتت في لساني جرهم وثمود

إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود

وأجاب الشهاب الحجازي بقوله:

لقد كاد هذا اللغز يصدي فكرتي وما كدت منه أشتفي بورود

فهذا جواب يرتضيه أولوا النهى وممتنع عن فهم كل بليد.

وهاهنا قصة أدبية ذكرها الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز وذلك أن عنبسة العنسي الشاعر قال: قدم ذو الرمة الكوفة فوقف على ناقته بالكناسة ينشد قصيدته الحائية التي أولها(١٥):

أمنزلتي مي سلام عليكما على النأي والنائي يود وينصح

حتى بلغ قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

وكان في الحاضرين ابن شبرمة فناداه: يا غيلان " اسم ذي الرمة- : "أراه قد برح. قال: فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويتفكر، ثم قال: "لم أجد" عوض"لم يكد". قال عنبسة: فلما انصرفت حدثت أبي فقال لي: أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة، وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة، إنما هذا كقول الله تعالى(١٦): ﴿ ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴾، وإنما هو لم يرها ولم يكد.اهـ وهذا التوجيه لقول ذي الرمة مبني على القول الأول، ومعناه: إذا تغير حب كل محب لم

يقارب حبي التغير، وإذا لم يقاربه فهو بعيد منه، فهذا أبلغ من أن يقول: لم يبرح لأنه قد يكون غير بارح، وهو قريب من البراح، بخلاف المخبر عنه بنفي مقاربة البراح. وكذا قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۚ﴾؛ هو أبلغ في نفي الرؤية من أن يقال: لم يرها، لأن من لم ير قد يقارب الرؤية بخلاف من لم يقارب.واستدل أصحاب القول الثاني برجوع ذي الرمة عن بيته، وهو من أهل اللسان، كما هو معلوم.

والثالث :

أن الأصل في "كاد" أن يكون نفيها لنفي الفعل بالأولى كما هو قول الأولين، إلا أنها قد يستعمل نفيها للدلالة على وقوع الفعل بعد بطء وجهد، وبعد أن كان وقوعه بعيدا في الظن. وأشار عبد القاهر إلى أن ذلك استعمال جرى في العرف، والمقصود تشبيه حالة من فعل الأمر بعد عناء وجهد بحالة من بعد عن الفعل. وهذا مذهب أبي الفتح بن جني وعبد القاهر الجرجاني وابن مالك في التسهيل. قال ابن مالك في التسهيل: " وتنفي كاد إعلاما بوقوع الفعل عسيرا أو بعدمه وعدم مقاربته". واعتذر في الشرح عن ذي الرمة في تغييره بيته بأنه غيره لدفع احتمال هذا الاستعمال. ومخالفة الأصل تحتاج إلى قرينة كما تقرر، وقد يجعل قوله تعالى: (فذبحوها) قرينة على هذا الاستعمال في الآية المذكورة آنفا.

والرابع :

أن"كاد" إن نفيت بصيغة المضارع فهي للنفي، وإن نفيت بصيغة الماضي فهي للإثبات، وتعلق أصحاب هذا القول بأن نفي الفعل الماضي لا يستلزم استمرار النفي إلى زمن الحال بخلاف نفي المضارع، وبقوله تعالى: (لم يكد يراها) وقوله: (وما كادوا يفعلون).

وهذا أضعف الأقوال كلها، حتى إن بعضهم، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج، لم يعرج عليه أصلا.

كاد ومشتقاتها في القرآن الكريم نفياً وأثباتاً:

إن كاد في القرآن الكريم جاءت لتأدية معان بعينها لا يكتمل المعنى إلا بها.

١/ كاد المنفية نحو: " ما كاد ولم يكد ".

كاد المنفية: تأتي للمعاني الآتية:

أ ــ توكيد نفي الفعل الذي يأتي بعدها، نحو قوله تعالى : ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾.

ب ــ للدلالة على الإبطاء والتأني في تنفيذ الفعل الذي يأتي بعدها، وفي هذه الحال ليس الفعل بعدها مؤكدا نفيه، وإنما دل الفعل " ما كاد " على بطء حدوثه لغرض، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾. أو يكون البطء لعلة خلقية ؛ أي مثل لعثة في اللسان وعسر في الكلام، ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. أو بسبب ضعف في العقل والتفكير ؛ في نحو قوله تعالى : ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾، أي لا يفقهون إلا بعد بطء.

٢ / كاد المثبتة: ومعانيها :

أ ــ قُرب وقوع الفعل بعدها، و لا يستوجب ذلك القرب وقوع هذا الفعل. نحو قوله جل وعلا [١٧]: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾.

ب ــ أن يقصد بها ضرب المثل، ولو أن المعنى في الأمثال استحالة حدوث الفعل، فالمعنى نفي الخبر إلا أنه ضرب مضرب الأمثال؛ وذلك كما في قوله تعالى[١٨]: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

ومما سبق يتضح لنا أن حكم الجمهور في حكم "كاد" أنها كسائر الأفعال في أن نفيها لا يوجب النفي.فحكم الجمهور هو الحكم الصحيح نراه الوجه الذي يتفق مع القرآن الكريم.والآيات التي وردت فيها كاد ومشتقاتها في القرآن الكريم أربع وعشرون آية:

[١] كاد:

١/ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١٩].

قوله: {كاد يزيغ}، قرأ حمزة وحفص عن عاصم "يزيغ" بالياء من تحت، والباقون بالتاء من فوق. يحتمل أن يكون اسم "كاد" ضمير الشأن، و "قلوب" مرفوع بيزيغ، والجملة في محل نصب خبرا لها، وأن يكون اسمها ضمير القوم، أو الجمع الذي دل عليه ذكر المهاجرين والأنصار، بعضهم قدره: "من بعد كاد القوم"، قيل في هذه القراءة: "فيتعين أن يكون في "كاد" ضمير الشأن، وارتفاع "قلوب" بيزيغ لامتناع أن يكون "قلوب" اسم كاد، و "يزيغ" في موضع الخبر، لأن النية به التأخير.

وبعضهم اعتقد "كاد" زائدة، ومعناها مراد، ولا عمل لها إذ ذاك في اسم ولا خبر، فتكون مثل "كان" إذا زيدت، يراد معناها ولا عمل لها، ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن مسعود "من بعد ما زاغت"، بإسقاط كاد، وقد ذهب الكوفيون إلى زيادتها في قوله تعالى: {لم يكد يراها}، مع تأثرها بالعامل وعملها في ما بعدها، فأحرى أن يدعى زيادتها وهي ليست عاملة ولا معمولة". وجمهور النحاة أبى زيادتها.

وفي هذه الآية لم يقترن خبر كاد بـــ " أن ". وأن خبرها فعلا مضارعا على الأصل.

٢/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢٠).

"إن": مخففة من الثقيلة. "كاد": ماض ناقص واسمها محذوف.تقديره هو. "ليضلنا": اللام الفارقة بين النفي والإثبات. وفعل مضارع ومفعوله وفاعله مستتر. والجملة خبر كاد."عن آلهتنا" متعلقان بـــ "يضلنا"، يضل مضاف و الضمير "نا" مضاف إليه. "لو لا" حرف شرط غير جازم. "أن صبرنا". أن: مصدرية و صبر فعل ماض والضمير " نا "، وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ،وخبره محذوف "عليها" متعلقان بصبرنا،وجواب لولا محذوف تقديره لولا صبرنا موجود لأضلنا.

والمعنى : الكفار مسرورون وفرحون لأنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ولم يتركوا عبادة الأصنام والأوثان، فيستهزئون ويقولون: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾ أي: لقد كاد، وكاد من أفعال المقاربة أي: قرب أن يردنا إلى الإسلام، وهكذا يزعمون، فيسمون الهداية ضلالا.وقوله: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي: كادوا أن

يهتدوا، وكادوا أن يصبحوا مسلمين، ولكن أحد شياطينهم فيمن سيقولون عنه يوم القيامة وهم ينادون، قال تعالى[٢١]: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ فهذا الذي اتخذوه خليلا بعد أن كادوا أن يسلموا ويؤمنوا ردعهم، وأبعدهم فلم يسلموا ولم يؤمنوا، وهم في الدنيا لا يزالون يفرحون بذلك، ومتى سيعرفون الحق وقد ابتعدوا عنه كل هذا البعد، وهانوا كل هذا الهوان.

[٢] كادت:

١/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢٢].

الواو: عاطفة "إن" مخففة من الثقيلة مهملة وجوبا. "اللام" هي الفارقة "به": جار ومجرور متعلق بـــ "تبدي". و"الباء" سببية، أي تبدي القول بسببه. "لولا": حرف شرط غير جازم."أن": حرف مصدري."على قبلها": متعلق بـــ "ربطنا".والمصدر المؤول من"أن ربطنا ": في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف أي: لولا ربطنا موجود. "اللام": للتعليل. "تكون": مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام. "من المؤمنين: خبر تكون.والمصدر المؤول من"أن تكون ": في محل جر باللام متعلق بـــ "ربطنا".

وجملة: " أصبح فؤاد ": لا محل لها معطوفة على جملة قالت امرأة.

وجملة: " كادت لتبدي " لا محل لها استئنافية تعليلية.وجملة: " تبدي به ": في محل نصب خبر كادت.

والمعنى: أنها لما ألقته في اليم كما أمرها الله ؛ زال عنها الخوف من قتله.ولما تمكنت من إلقائه في اليم علمت أنه نجا.وعن ابن عباس قال: فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهذا شيء من رباطة جأشها، إذ فرغ لبها من كل خاطر يخطر في شأن موسى.

وجملة إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها تكون بعض المفسرين جعلها استئنافا بيانيا لما اقتضاه فعل أصبح من أنها كانت على حالة غير حالة فراغ فبينت بأنها كانت تقارب أن تظهر أمر ابنها من شدة الاضطراب، فإن الاضطراب ينم

بها. فالمعنى: أصبح فؤادها فارغا وكادت قبل ذلك أن تبدي خبر موسى في مدة إرضاعه من شدة الهلع والإشفاق عليه أن يقتل.

أما على تفسير ابن عباس تكون جملة إن كادت بمنزلة عطف البيان على معنى فارغا. وهي دليل على الاستثناء المحذوف. فالتقدير: فارغا إلا من ذكر موسى فكادت: تظهر ذكر موسى وتنطق باسمه من كثرة تردد ذكره في نفسها.

[٣] يكاد:

١ / قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٣).

يكاد: فعل مضارع ناقص مرفوع البرق: اسم يكاد مرفوع (يخطف) فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي البرق. أبصار: مفعول به منصوب و(هم) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه. جملة: « يكاد البرق » لا محل لها استئنافية. وجملة: « يخطف » في محل نصب خبر يكاد. وجملة: « أضاء » في محل جر مضاف إليه. وخبر يكاد هنا جملة فعلية فعلها مضارع ولم يقترن الخبر بـــ " أن ".

والمعنى(٢٤): " أبصارهم " جمع بصر، وهي حاسة الرؤية. والمعنى: تكاد حجج القرآن وبراهينه الساطعة تبهرهم. ومن جعل " البرق " مثلا للتخويف فالمعنى أن خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب أبصارهم.قوله تعالى: (كلما أضاء لهم مشوا فيه) "كلما" منصوب لانه ظرف. وإذا كان " كلما " بمعنى " إذا " فهي موصولة والعامل فيه "مشوا " وهو جوابه.

٢/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٥).

جملة: " يضي ء " في محل نصب خبر يكاد. وجملة: " لم تمسسه نار " في محل نصب حال من فاعل يضي ء.

قيل(٢٦): { يكاد زيتها } من صفائه { يضيء ولو لم تمسسه نار } فإذا مسته النار، أضاء إضاءة بليغة { نور على نور } أي: نور النار، ونور الزيت. ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه، أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره.

٣ / قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٢٧).

(أم): هي أم المنقطعة بمعنى بل التي للإضراب الانتقالي، [من هذا] متعلق بـــ "خير"، [الذي)] موصول في محل جر بدل من اسم الإشارة. وجملة: " أنا خير " لا محل لها استئنافية. وجملة: " هو مهين " لا محل لها صلة الموصول " الذي". وجملة: « لا يكاد يبين » لا محل لها معطوفة على جملة الصلة. وجملة: " يبين " في محل نصب خبر يكاد. ولم يقترن خبر كاد بـــ " أن ".

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢٨). قال قتادة: قد كانت لهم جنات وأنهار ماء {أفلا تبصرون} أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني موسى وأتباعه فقراء ضعفاء.

وقوله(٢٩): ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين، لكذا قال بعض نحاة البصرة: إن أم ههنا بمعنى بل،وقوله: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾على الاستفهام. يعني فرعون لعنه الله في قوله أنه خير من موسى عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا. ويعني بقوله مهين: حقير، وقيل: يعني ضعيف. وقيل: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال. ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يعني لا يكاد

يفصح عن كلامه فهو عيي حصر. وقيل في: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾،أي لا يكاد يفهم. وقال بعض المفسرين: يعني عيي اللسان، يعنون في لسانه شيء من الجمرة التي وضعها في فمه وهو صغير. وهذا الذي قاله فرعون كذب واختلاق، وإنما حمله على ذلك الكفر والعناد وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب.

٤/ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (٣٠).

جملة: "يكاد " في محل نصب حال من الودق أو من البرد على اختلاف في العامل. وجملة: " يذهب " في محل نصب خبر يكاد الناقص. ولم يقترن خبر يكاد بـــ "أن ".

وجملة يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وصف لـــ " سحابا ". وضمير " برقه " عائد إلى " سحابا ". وفائدة هذه الصفة تنبيه العقول إلى التدبر في هذه التغيرات إذ كان شعور الناس بحدوث البرق أوضح وأكثر من شعورهم بتكون السحاب وتراكمه ونزول المطر والبرد، إذ قد يغفل الناس عن ذلك لكثرة حدوثه وتعودهم به بخلاف اشتداد البرق، فإنه لا يخلو أحد من أن يكون قد عرض له مرات، فإن أصحاب الأبصار التي حركها خفق البرق يتذكرون تلك الحالة العجيبة الدالة على القدرة. ولهذه النكتة خصصت هذه الحالة من أحوال البرق بالذكر. والسنا مقصورا: ضوء البرق وضوء النار. وأما السناء الممدود فهو الرفعة(٣١)"

٥/ قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٣٢).

الواو: استئنافية،إن: مخففة من الثقيلة واجبة الإهمال يكاد: فعل مضارع مرفوع (اللام) في ليزلقونك: هي اللام الفارقة. وهي لام مزحلقة. بأبصارهم: متعلق بـــ "يزلقونك"، "لما" ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق بالجواب المقدر. الواو: عاطفة. و جملة: "يكاد الذين " لا محل لها استئنافية.

وجملة: " كفروا " لا محل لها صلة الموصول " الذين. وجملة: «يزلقونك... » في محل نصب خبر يكاد وجملة: "سمعوا " في محل جر مضاف إليه. وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي كادوا يزلقونك.

هذه الآية تصور موقف أهل الكفر من رسول الله ﷺ، فإذا تلوت القرآن "يا محمد" ورآك أهل الكفر، نظروا إليك نظرات قاتلة بأبصارهم، وأوشكوا بهذه النظرات أن يسقطوك من على منبرك وأنت تقرأ القرآن، أو يسقطوك من مقامك وأنت تقرأ القرآن: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾، فالآية أثبتت العين. واتفقت كلمة أهل السنة والجماعة على إثبات أن العين تدخل الرجل القبر وتولج الجمل القدر، فالعين حق كما قال الرسول ﷺ: [العين حق، ولو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا] (٣٣).

٦/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (٣٤).

يتجرعه: مضارع مرفوع، والهاء: ضمير مفعول به، والفاعل هو. الواو: عاطفة. لا: نافية. يكاد: مضارع ناقص مرفوع، واسمه ضمير مستتر تقديره هو. يسيغه: فعل مضارع. الواو:عاطفة. يأتيه: فعل مضارع، والضمة مقدرة. الموت: فاعل مرفوع. من كل: جار ومجرور متعلق بـ" يأتيه". مكان: مضاف إليه مجرور الواو: واو الحال.ما: نافية عاملة عمل ليس. هو: ضمير منفصل مبني في محل رفع اسم ما. الباء: حرف جر زائد. ميت: مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما. الواو: حرف عطف و.غليظ: نعت لعذاب مرفوع مثله.

وجملة: " يتجرعه " في محل جر نعت لماء" وجملة: " لا يكاد يسيغه " في محل جر معطوفة على جملة يتجرعه. وجملة: " يسيغه " في محل نصب خبر يكاد. وجملة: " يأتيه الموت " في محل جر معطوفة على جملة لا يكاد. وجملة: " ما هو بميت " في محل نصب حال.

يتجرعه (٣٥): أي: يتحساه ويشربه، لا بمرة واحدة، بل جرعة جرعة، لمرارته وحرارته. ولا يكاد يسيغه . و " يكاد ": صلة، أي: لا يسيغه.

[٤] تكاد:

١/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣٦)"

من فوقهن: متعلق بـــ (يتفطرن)، الواو: عاطفة في الموضعين. بحمد: متعلق بحال من فاعل يسبحون. لمن: متعلق بـــ (يستغفرون). ألا: للتنبيه. هو: ضمير فصل. جملة: " تكاد السموات ": لا محل لها استئنافية وجملة: "يتفطرن ": في محل نصب خبر تكاد. وجملة: " الملائكة يسبحون ": لا محل لها معطوفة على الاستئنافية وجملة: "يسبحون ": في محل رفع خبر المبتدأ. " الملائكة"وجملة: " يستغفرون ": في محل رفع معطوفة على جملة يسبحون وجملة: " إن الله... الغفور " لا محل لها استئنافية.

قال الطبر ي (٣٧): قال ابن عباس: تكاد السماوات يتفطرن أي: تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها، من قول المشركين: [اتخذ الله ولدا]" وقال الضحاك والسدي :يتفطرن أي: يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن. وقيل: فوقهن: فوق الأرضين من خشية الله لو كن مما يعقل.

٢/ قَالَ تَعَالَى:﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ (٣٨).

"تكاد" مضارع ،واسمه مستتر "تميز" مضارع فاعله مستتر والجملة خبر تكاد،وجملة تكاد استئنافية لا محل لها «من الغيظ» متعلقان بالفعل.

قوله تعالى: تكاد تميز من الغيظ يعني تتقطع وينفصل بعضها عن بعض ؛ قاله سعيد بن جبير. وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد: تتفرق. من الغيظ من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى. وقيل: من الغيظ من الغليان. وأصل " تميز " تتميز.

٣/ قَالَ تَعَالَى:﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾(٣٩).

فالانفطار من "فطره" إذا شقه، والتفطر من تفطره" إذا شققه، وكرر فيه الفعل. قال أبو البقاء: "وهو هنا أشبه بالمعنى". أي: التشديد. و "يتفطرن" في محل نصب خبرا لـــ "تكاد" وزعم البعض أنها هنا بمعنى الإرادة مثل قول الشاعر:

كـــادت وكـــدت وتلـــك خيـــر إرادة لـــو عـــاد مـــن زمـــن الـــصبابة مـــا مضى

وفي قوله: "هدا" ثلاثة أوجه، أحدها: باعتبارها مصدرا في موضع الحال، أي: مهدودة، على أن يكون هذا المصدر من "هد زيد الحائط " يهده هدا، أي: هدمه. والثاني: وهو قول أبي جعفر أنه مصدر على غير المصدر لما كان في معناه لأن الخرور السقوط والهدم، وهذا على أن يكون من هد الحائط يهد، أي: انهدم، فيكون لازما. والثالث: أني كون مفعولا من أجله. قال الزمخشري: "أي: لأنها تهد"(٤٠).

[٥] يكادون:

١/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾(٤١).

جملة: " لا يكادون ": في محل نصب حال من القوم أو من أولاء. وجملة: "يفقهون ": في محل نصب خبر يكادون.

قال الطبري (٤٢): قال أبو جعفر: يعني ﷻ بقوله: فمال هؤلاء القوم :فما شأن هؤلاء القوم الذين إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك لا يكادون يفقهون حديثا يقول: لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به من أن كل ما أصابهم من خير أو شر أو ضر وشدة ورخاء فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يصيب أحدا سيئة إلا بتقديره، ولا ينال رخاء ونعمة إلا بمشيئته. وهذا إعلام من الله عباده أن مفاتح الأشياء كلها بيده، لا يملك شيئا منها أحد غيره.

٢/ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ (٤٣).

جملة: " لا يكادون ": في محل نصب نعت لـــ (قوما).وجملة: " يفقهون ": في محل نصب خبر يكادون.

يقول القرطبي (٤٤): حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان. روى عطاء الخراساني عن ابن عباس: " بين السدين " الجبلين أرمينية وأذربيجان. وجد من دونهما أي من ورائهما. قوما لا يكادون يفقهون قولا وقرأ حمزة والكسائي " يفقهون " بضم الياء وكسر القاف من أفقه إذا أبان أي لا يفقهون غيرهم

كلاماً. الباقون بفتح الياء والقاف ، أي يعلمون. والقراءتان صحيحتان ، فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم.

٣/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٤٥)

جملة: " تتلى... آياتنا " في محل جر مضاف إليه.وجملة: " تعرف " لا محل لها جواب شرط غير جازم.وجملة: "كفروا " لا محل لها صلة الموصول (الذين).وجملة: " يكادون " في محل نصب حال من الموصول. وجملة: " يسطون " في محل نصب خبر يكادون.

قال الطبري (٤٦): يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا " آياتنا " يعني آيات القرآن " بينات " يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها: لسماعهم بالقرآن. وقوله : ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ لشدة كرههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم.

[٦] كادوا:

١/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾(٤٧)

الواو: استئنافية " إن" مخففة من الثقيلة مهملة وجوبا "كادوا" فعل ماض ناقص مبني على الضم.. و"الواو" اسم كاد "اللام" هي الفارقة "يفتنون" مضارع مرفوع.. و"الواو" فاعل و"الكاف" ضمير مفعول به. "عن" حرف جر."الذي" اسم موصول مبني في محل جر متعلق بـــ "يفتنون" بتضمينه معنى يصرفونك. "أوحينا" فعل ماض وفاعله. "إلى" حرف جر، و"الكاف" ضمير في محل جر متعلق بـــ "أوحينا"، "اللام" للتعليل. "تفتري" مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل أنت. "على" حرف جر،

و"نا" ضمير في محل جر متعلق بـــ "تفتري". "غيره" مفعول به منصوب، و"الهاء" مضاف إليه..والمصدر المؤول من "أن تفتري " في محل جر باللام متعلق بـــ "يفتنونك". "الواو" عاطفة "إذا" _ منونة ــ حرف جواب لا عمل له. "اللام" واقعة في جواب شرط مقدر أي: لو فعلت لاتخذوك. "اتخذوك" فعل ماض مبني على الضم. و"الواو" فاعل، و"الكاف" ضمير في محل جر. "خليلا" مفعول به ثان منصوب.وجملة: "كادوا " لا محل لها استئنافية.وجملة: " يفتنونك " في محل نصب خبر كادوا. وجملة: "أوحينا " لا محل لها صلة الموصول (الذي).وجملة: "تفتري " لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.وجملة: " اتخذوك " لا محل لها جواب شرط مقدر أي لو فعلت ذلك لاتخذوك خليلا، وجملة الشرط لا محل لها معطوفة على استئنافية.

٢/ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤٨)

جملة: " إن كادوا " لا محل لها معطوفة على جملة كادوا الأولى. وجملة: "يستفزونك " في محل نصب خبر كادوا.وجملة: " يلبثون " لا محل لها جواب شرط مقدر أي لو أخرجوك لا يلبثون.

والاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من " فز " بمعنى بارح المكان، أي كادوا أن يسعوا أن تكون فازا، أي خارجا من مكة، والمعنى: كادوا أن يخرجوك من بلدك، وذلك بأن هموا بأن يخرجوه كرها. ثم صرفهم الله عن ذلك ليكون خروجه بغير إكراه حين خرج مهاجرا عن غير علم منهم ؛ لأنهم ارتأوا بعد زمان أن يبقوه بينهم حتى يقتلوه.

٣/ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾(٤٩).

"الواو" عاطفة "لما" ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط في محل نصب متعلق بمضمون الجواب. "عليه" متعلق بـــ "لبدا" بتأويل مشتق أي جماعات.

والمصدر المؤول "أنه لما قام." في محل رفع معطوف على المصدر المؤول السابق أو المصدر المؤول "أنه استمع ".وجملة: " الشرط وفعله وجوابه " في محل رفع خبر أن.وجملة: " قام عبد الله " في محل جر مضاف إليه.

وجملة: " يدعوه " في محل نصب حال من فاعل قام وجملة: " كادوا " لا محل لها جواب شرط غير جازم.وجملة: يكونون " في محل نصب خبر كادوا.

يقول الطبري (٥٠): كادوا يكونون على محمد جماعات بعضها فوق بعض، واحدها: لبدة ، وفيها لغتان: كسر اللام لبدة ، ومن كسرها جمعها لبد ؛ وضم اللام لبدة ، ومن ضمها جمعها لبد بضم اللام ، أو لابد ؛ ومن جمع لابد قال: لبدا ، مثل راكع وركعا ، وقراء الأمصار على كسر اللام من لبد.

٤/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (٥١).

ويشكل على هذا القول: قوله تعالى: (فذبحوها وما كادوا يفعلون)، فإن قوله: (فذبحوها) إثبات للذبح، وقوله: (وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ) نفي للفعل الذي هو الذبح، وعدم تكراره تفنن في البيان وهذا قول ابن عاشور، فيلزم التناقض بنفي الشيء وإثباته في آن. و رد أصحاب هذا القول : إن ذلك باعتبار وقتين، والمعنى: فذبحوها الآن، وما كادوا يفعلون قبل ذلك. ونظمه ابن مالك في الكافية بقوله:

وغير ذا على كلامين يرد كولدت هند ولم تكد تلد.

٥/ قال تعالى (٥٢): ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

«قال» ماض فاعله مستتر «ابن أم» جزءان مبنيان على الفتح في محل نصب على النداء، أو ابن منادى وأم: مضاف إليه مجرور بالكسرة المقدرة على الألف المحذوفة المنقلبة عن ياء. وقد دل على الألف المحذوفة الفتحة كما في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم. «إن القوم» إن واسمها. «استضعفوني» فعل ماض وفاعله ومفعوله والجملة في محل رفع خبر إن وجملة إن القوم مفعول به. «كادوا» كاد واسمها. «يقتلونني» فعل مضارع وفاعل ومفعول به والجملة في محل نصب خبر كادوا وجملة كادوا معطوفة.

قال بعض العلماء : إنما أثبتت الياء في « الأم »، لأنها غير مناداة، وإنما المنادى هو « الابن » دونها. وإنما تسقط العرب « الياء » من المنادى إذا أضافته إلى نفسها، لا إذا أضافته إلى غير نفسها. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: «يا ابن أم » ، ولم يقل: « يا ابن أبي » ، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافا له على نفسه برحم الأم. وقوله: « إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »، يعني بالقوم، الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا: « هذا إلهنا وإله موسى » ، وخالفوا هارون. وكان استضعافهم إياه: تركهم طاعته واتباع أمره « وكادوا يقتلونني »، يقول: قاربوا ولم يفعلوا.

[٧] كدت:

١/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[٥٣].

جملة: " كدت تركن " لا محل لها جواب شرط غير جازم.وتاء فاعل. وجملة: " تركن " في محل نصب خبر كدت.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية [٥٤]: وقيل: ظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباطنه إخبار عن ثقيف. والمعنى: وإن كادوا ليركنونك ، أي كادوا يخبرون عنك بأنك ملت إلى قولهم ؛ فنسب فعلهم إليه مجازا واتساعا ؛ كما تقول لرجل: كدت تقتل نفسك ، أي كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت ؛ ذكره المهدوي. وقيل ما كان منه هم بالركون إليهم ، بل المعنى: ولولا فضل الله عليك لكان منك ميل إلى موافقتهم ، ولكن تم فضل الله عليك فلم تفعل ؛ ذكره القشيري. وقال ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه.

٢/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ [٥٥].

قال: فعل ماض ،«تالله» التاء حرف قسم وجر ولفظ الجلالة مجرور به وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم «إن» مخففة من الثقيلة «كدت» ماض وجملته جواب القسم لا محل لها «لتردين» اللام الفارقة ومضارع مرفوع فاعله مستتر تقديره أنت والياء المحذوفة مفعوله. وجملة " تردين " خبر كاد.

يقال عند القسم: تالله وبالله ووالله، وكلها بمعنى، يقول هذا الشاب لذاك القرين الدائم: والله يا فلان! لقد كدت تردين، وكاد: من أفعال المقاربة عند العرب، أي: قاربت أن تضلني، وقاربت أن أصدقك. " لتردين": من الردى وهو: الهلاك أي: كدت تهلكني بالشرك والكفر وعدم الإيمان، ولو طاوعه وتابعه لكان معه في قعر جهنم وفي وسطها، ولكنه يقول له ذلك وهو مرتبط بحاله، يحمد الله على أنه دام على الإيمان حتى لقي الله فكان من أهل النعيم.

[٨] أكاد:

١/ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (٥٦).

قال ابن كثير(٥٧): وقوله " إن الساعة آتية " أي قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها وقوله " أكاد أخفيها " قال الضحاك عن ابن عباس إنه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسي يقول لأنها لا تخفى من نفس الله أبدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن رافع وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لا أطلع عليها أحدا غيري وقال السدي ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود إني أكاد أخفيها من نفسي يقول كتمتها عن الخلائق حتى لو استطعت أن أكتمها من نفسي لفعلت.وقال قتادة أكاد أخفيها وهي في بعض القراءات أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء والمرسلين قلت وهذا كقوله تعالى "قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ".

«إن الساعة آتية» إن واسمها وخبرها والجملة ابتدائية «أكاد» فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره أنا والجملة خبر ثان «أخفيها» الجملة خبر أكاد «لتجزى » اللام للتعليل وتجزى مضارع مبني للمجهول «كل» نائب فاعل «نفس» مضاف إليه والجملة في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل.

[٩] يكد:

١/ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(٥٨).

«إذا» ظرف يتضمن معنى الشرط متعلق بجوابه «أخرج» ماض فاعله مستتر «يده» مفعول به والهاء مضاف اليه والجملة في محل جر مضاف إليه «لم يكد» لم جازمة ومضارع ناقص مجزوم بلم واسمه محذوف «يراها» مضارع فاعله مستتر والهاء مفعول به والجملة خبر يكد.

يقول ابن كثير : وقوله: {إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا } يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات ، لم يكد يراها. فإن قال: لنا قائل وكيف قيل: لم يكد يراها ، مع شدة هذه الظلمة التي وصف ، وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا ، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه ، فكيف فيها ؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها ، ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها ؛ أي لم يعرف من أين يراها. والثاني أن يكون معناه إذا أخرج يده لم يرها ، ويكون قوله: { لم يكد } في دخوله في الكلام ، نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام ، كقوله: { وظنوا ما لهم من محيص } ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد ، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة ، وقد رآه ، ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب " أكاد " في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه معنى لم يرها ، قول أوضح من جهة التفسير ، وهو أخفى معانيه. وإنما حسن ذلك في هذا الموضع ، أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر ؛ لأن ذلك مثل لا خبر عن كائن كان.

لماذا لم يقترن خبر كاد في القرآن الكريم بـــ " أن " ؟ ولا يكون الخبر إلا فعلا مضارعا ؟

من المسلم به عند النحاة أن خبر " كاد " لايكون إلا فعلا مضارعا. وذلك لأن الفعل المضارع يصلح للحال والاستقبال. و " أن " تدل على الاستقبال" فإذا دخلت " أن"

على الخبر صرفته إلى زمن الاستقبال. ومعنى " كاد " قرب، فلا يستعمل الفعل " كاد " الذي يعني القرب مع الانصراف إلى زمن الاستقبال مما يوجب التناقض. ولأن اللفظ القرآني لم يقترن فيه الخبر بـ " أن " يكون من الأفضل عندي عدم اقتران خبر " كاد" بـ " أن " اقتداء بالقرآن العظيم ونهجه القويم في الاستعمال اللغوي. إلا أن الخبر قليلا ما يقترن بـ " أن " ولذلك قال العلماء : إنه يقل اقتران خبر " كاد " بـ " أن " ويكثر في عسى.

إن عدم اقتران صيغة المضارع بـ " أن " نجد فيه دقة التصوير والاستحضار للموقف. ولأن في المضارع صلاحية للحال والاستقبال. وأن في معنى الماضي بعد عن التصوير الذي يجسم لنا الصورة التي أمامنا.

دخول (أن) في خبر عسى وكاد

إن عسى في الاستعمال اللغوي تأتي للمقاربة على سبيل الرجاء والطمع في حدوث الفعل ، نحو : عسى الله أن يرد غربتك"أي أرجو من الله قرب رجوعك لوطنك. أما كاد فهي في الاستخدام اللغوي تأتي لمقاربة حدوث الفعل على سبيل الوجود والحصول. نحو: كادت الشمس تغرب،تريد أن قربها من الغروب قد حصل. وللمشابهة بين " كاد وعسى " حمل كل من الفعلين على الآخر. لذا نجد ابن هشام في المغني : "والعرب إذا شبهت شيئا بشيء أعطوه بعضا من أحكامه " أ. هـ" وفي ذلك يقول ابن جني: " وهذه عادة للعرب مألوفة، وسنة مسلوكة. إذا أعطوا شيئا من شيء حكما ما، قابلوا ذلك بأن يعطوا المأخوذ منه حكما من أحكام صاحبه، عمارة بينهما، وتتميما للشبه الجامع بينهما " (٥٩).

ويقول ابن الأنباري : فإن قيل، فلم حذفوا " إن " في خبرها " يعني عسى " في بعض أشعارهم ؟ قيل: إنما يحذفونها في بعض أشعارهم لأجل الاضطرار تشبيها لها بـ " كاد " فإن كاد من أفعال المقاربة. كما أن عسى من أفعال المقاربة، ولهذا الشبه بينهما جاز أن يحمل عليها في حذف " أن " من خبرها، نحو قول الشاعر:

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فالشاعر يتحدث عن كرب وشدة يعاني منهما معاناة شديدة، وهو في نفسية مضطربة يرجو الفرج القريب. ويرجو أن تزول عنه هذه الكرب في الحال الآن من دون تراخ، فهذا الرجاء يتطلب شدة مقاربة الفرج في الحال. لذا أتي الشاعر بالخبر خاليا من " أن "، فرجاء الشاعر الفرج القريب يتناقض مع دخول " أن " على الخبر ؛ لأن " أن " تخلص الخبر للمستقبل وليس الحال الآن. لذا كان حذف" أن " من الخبر منسجما مع رجاء الشاعر في سرعة زوال الكرب الذي ألم به.

إذا الشبه بين عسى وكاد في كونهما مشتركتين في أصل المعنى وهو المقاربة، وكونهما مختلفتين في وجوه المقاربة، فهو الذي حملت فيه كل منهما على الأخرى، لاشتراكهما في أصل المعنى وهو المقاربة (٦٠).

ونخلص من أقوال هؤلاء العلماء إلى أن المشابهة بين عسى وكاد هي السبب في حمل كل منهما على الآخر. وفي دخول " أن " على خبر كاد تشبيها له بـ(عسى)، وحذف " أن " من خبر عسى تشبيها لها بـ (كاد)؛ وهذا يتضح لنا من أن النحاة اعتبروا دخول " أن " على خبر كاد ضرورة شعرية، موافقة لما قاله سيبويه الذي اعتبر سيبويه دخولها على خبر كاد ضرورة شعرية(٦١).

ويقول النحاة: إن دخول " أن " على خبر كاد لا يحسن في سعة الكلام، لأن كاد للتقريب من الحال. و" أن " للاستقبال، وأن الفعل يبعد عن الحال إذا دخلت عليه "أن " (٦٢).

أمثلة لدخول (أن) على خبر كاد وتعليل ذلك:

جاء في صحيح البخاري (٦٣): " وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم ". ويلاحظ أن " أن " دخلت على خبر كاد. وردا على أنكار البعض على دخولها في هذه العبارة: إن المعنى في هذه العبارة يتطلب دخول " أن " على خبر كاد. أن " أمية لم يقارب دخول الإسلام فضلا عن دخوله فيه. على الرغم من وجود دلائل في أشعاره تدل على تمسكه بالحنيفية، تجعله على مسافة من الإسلام، ولكن هذه المسافة ليست بالقريبة. وهذا البعد عن قرب الحصول الإسلام في الحال يتفق مع وضع وحالة أمية.

وابن مالك يرى أن الكثير في خبر كاد غير مقترن بـــ (أن)، ولكنه قد يأتي أحيانا مقترنا بها.ومن الملاحظ على قول ابن مالك هذا أنه أجاز دخول " أن " على خبر كاد في سعة الكلام، ولكنه يرى أنه قليل واستشهد في قوله هذا بقول عمر بن الخطاب ﷺ: " ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب " (٦٤).

في حديث النبي ﷺ: " كاد الفقر أن يكون كفرا ". إن المعنى هنا يناسب دخول " أن " على خبر كاد. فالفقر لا يؤدي إلى حصول الكفر في الحال، ولا هو شديد المقاربة له. فالذي يقاسيه الفقير من شدة الفقر وعنت المعاناة قد يؤديه إلى الكفر في نهاية الأمر، وليس في الحال القريبة. وهذا المعنى المراد من الحديث تحققه " أن " لأنها تدل على التراخي في حصول الكفر وتحقيقه في المستقبل غير القريب.

أما قول رؤبة بن العجاج (٦٥):

رسم عفا من بعد ما قد امحى قد كاد من طول البلى أن يمصحا

يصف الشاعر هنا في هذا البيت رسما قديما، درس بسبب توالي عوامل الطبيعة عليه حتى شارف على الاندثار بذهاب كثير من معالمه. وزوال الأطلال لا يكون إلا بعد زمن طويل ولا يحدث هذا الزوال في الحال؛ بل بالتدريج. فالشاعر لا يريد أن يخبرنا بأن معالم هذا الرسم لم تحدث في الحال، بل حصلت بالتدريج مع طول الزمن. فكان لابد أن يدخل " أن " على خبر كاد لكي يتحقق مقصده. فالقصد هو الفيصل في فهم المعنى وإيراده. ومن هنا كان استعمال رؤبة لـــ " أن" في خبر كاد أليق لتأدية المعنى الذي يريده.

حذف خبر كاد

أجاز النحاة حذف خبر " كاد " إذا علم. ومن ذلك ما ورد في قول المصطفى ﷺ (٦٦): " من تأني أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد ". وقال المرقش (٦٧):

وإذا ما سمعت من نحو أرض بمثحب قد ماد أو قيل كادا

فاعلمي غير علم شك بأتي ذاك وابكي لمقصد لن يقادا

أي لن يؤخذ له بقود. أي دية.

النتائج:

١ــ كان ولا يزال أثرٌ كتاب الله العزيز عظيمٌ في اللّغة العربيّة، وإليه ترجع نشأةُ علوم العربية كافّةً، من نحوٍ وصرفٍ ولغةٍ ومعجمٍ وبلاغةٍ وغيرها، فكان القرآن الكريم المصدر الأوّل للعربيّة.

٢ــ إنّ نشأة علم النحو لم تكن بسبب اللّحْنَ وحدَهُ الذي فشا بعد الفتوحات الإسلامية، لا و لا يمكن أن نعتبر اللحن وحده الذي كان سبباً في نشأة علم النحو. فالنّحو شأنُ العلوم الإسلاميّة الأخرى، نشأ لكي يؤدي دوره في فهم القرآن الكريم، والفرق كبير جداً بين محاربةِ اللّحن، وإرادةِ فهم النص القرآني ؛ لأنّ اللحنَ ما كانَ ليصل بالنّحو إلى ما وصل إليه في هذه المرحلة المبكرة من حياة الدرس النحوي، ممّا يؤكّد أنّ ربط النّحو بالدّلالة، والإعراب بالمعنى، ضرورةٌ و لازمة مهمة، وإنّ كان كلاً منهما يؤثّر في الآخر.

٣ - التّأكيد على الروابط الوثيقة بين علم النّحو، وعلم التّفسير ؛ وأنّ هناك العديد من آي الذّكر الحكيم التي كان للنّحو الفصلُ في توجيهها، والفضلُ في الوقوف على أغراضها ومعانيها.

٤- كان الاختلاف في التّحليل النّحْويّ بين النّحْويّين، له أثرٌه الواضحّ والكبيرٌ في التّفسير، أدّى إلى تنوّع في المعاني، وتعدّد في الدّلالات، وهذا بدوره يؤدي إلى التأكيد و يعمّق فكرة الربط بين الإعراب والمعنى.

ونسأل الله أن يكون هذا البحث قد أضاء خيطاً من النور على أهمية الدراسات النحوية في القرآن الكريم، وفتح باباً للدارسين في كتاب الله عز وجل.

الهوامش:

(١) ينظر الكافية الرضي الاستراباذي.

(٢) شرح المفصل بن يعيش ، ج: ٧، ص ١١٩. طبعة إدارة الطباعة المنبرية.

(٣) النحو الوافي، عباس حسن ، ج: ١، ص ٦١٤.

(٤) الجامع الصغير ، السيوطي ج:٢، ص ١٢٣.

(٥) باب كتاب مواقيت الصلاة،البخاري ص٣٥.

(٦) البخاري ، باب كتاب الاستسقاء ص ١٥

(٧)سير أعلام النبلاء، ج:١ ص ٢٠٤ مطبعة الرسالة.

(٨)شواهد التوضيح لابن مالك، ص ١٠٩ ــ شرح الأشموني ، ج: ١ ص ٢٦.

(٩) هدبة بن الأشرم العذري، ديوانه ، ص ٣٥

(١٠) الحريري، درة الغواص، ج: ١، ص ٣٠.

(١١) ثلاثة رسائل في اللغة،ص ٣٧.

(١٢) شرح الشافية الكافية، ج: ١، ص ٤٦٦. طبعة دار المأمون.

(١٣) المصدر السابق نفسه، ج: ١، ص ٤٦٦.

(١٤) البيتان لأبي العلاء المعري في شرح الكافية الشافية، ١: ٤٦٧.ينظر الأشموني، ١: ٢٦٨.

(١٥) ديوان ذي الرمة ، شرح عبد الرحمن المصطاوي، ص ٤٤، بيروت دار المعرفة ، ٢٠٠٦م.

(١٦) من سورة النور ، آية ٤٠.

(١٧) من سورة الأعراف ، آية ١٥٠.

(١٨)من سورة الشورى، آية ٥.

(١٩) من سورة التوبة، آية ١١٧.

(٢٠) من سورة الفرقان، آية ٤٢.

(٢١) من سورة الفرقان ، آية ٢٨.

(٢٢) من سورة القصص ، آية ١٠.

(٢٣) من سورة البقرة، آية ٢٠.

(٢٤) تفسير القرطبي، ١: ٢٢٢.

(٢٥) من سورة النور، آية ٣٥.

(٢٦)ينظر تفسير العلامة ناصر السعدي، تفسير سورة النور آية ٣٥

(٢٧) من سورة الزخرف، آية ٥٢.

(٢٨) من سورة الزخرف، آية ٥١. ينظر تفسير ابن كثير.

(٢٩) ينظر تفسير ابن كثير.

(٣٠) من سورة النور، آية ٤٣.

(٣١) ينظر تفسير التحرير والتنوير.

(٣٢) من سورة القلم، آية ٥١.

(٣٣) ينظر تفسير البغوي، تفسير سورة القلم ، آية ٥١.

(٣٤) من سورة إبراهيم ، آية ١٧.

(٣٥) ينظر تفسير البغوي ، تفسير سورة أبراهيم آية ١٧.

(٣٦) من سورة الشورى، آية ٥.

(٣٧) ينظر تفسير الطبري ، تفسير سورة الشورى، آية ٥.

(٣٨) من سورة الملك، آية ٨.

(٣٩) من سورة مريم، آية ٩٠.

(٤٠) السمين الحلبي، الدر المصون، ج: ٥٠٦٤.

(٤١) من سورة النساء، آية ٧٨.

(٤٢) ينظر تفسير الطبري ، تفسير سورة النساء آية ٧٨.

(٤٣) من سورة الكهف، آية ٩٢.

(٤٤) ينظر تفسير القرطبي ، سورة الكهف، آية ٩٣.

(٤٥) من سورة الحج، آية ٧٢.

(٤٦) ينظر تفسير الطبري ، تفسير سورة الحج، آية ٧٢.

(٤٧) من سورة الإسراء، آية ٧٣.

(٤٨) من سورة الإسراء ، آية ٧٦.

(٤٩) من سورة الجن ، آية ١٩.

(٥٠) ينظر تفسير الطبري ، تفسير سورة الجن، آية ١٩.

(٥١) من سورة البقرة، آية ٧١.

(٥٢) من سورة الأعراف ، آية ١٥٠.

(٥٣) من سورة الإسراء ، آية ٧٤.

(٥٤) ينظر تفسير الطبري ، تفسير سورة الإسراء، آية ٧٤.

(٥٥) من سورة الصافات، آية ٥٦.

(٥٦) من سورة طه، ١٥.

(٥٧) تفسير ابن كثير،

([٥٨]) من سورة النور، آية ٤٠.

([٥٩]) ابن جني، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، ١: ٦٣، طبعة بيروت طبعة ثانية.

([٦٠]) ينظر ابن الحاجب ، الإيضاح في شرح المفصل، ص ٩١. بتصرّف.

([٦١]) سيبويه، الكتاب، ج: ٣، ص ١٢.

([٦٢]) أبو الفدا ، الكناش ، ١: ص ٤٦.

([٦٣]) صحيح البخاري ، ص ٧٢٩، طبعة الرياض، دار الأفكار الدولية، ١٩٩٨م.

([٦٤]) شرح التسهيل، ناظر الجيش، ج: ١، ص ٣٩١.

([٦٥]) ديوانه ، وليم البروسي، ص ١٧٣.

([٦٦]) الطبراني ، مجمع الزوائد، ٨: ١٩. ينظر ابن مالك، الكافية الشافية ، ١: ٤٦٢.

([٦٧]) المـــرقش هو عمرو بن سعد بن مالك أحد شعراء الجاهلية المعدودين. ينظر الكافية الشافية لابن مالك ، ١: ٤٦٢.